

20 تعليق على شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم

الشيخ عبد الرزاق البدر

عبد الرزاق البدر

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. واشهد ان محمدا ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى اله وصحبه اجمعين. اما بعد نواصل القراءة

حساب شرح حديث أبي الدرداء للحافظ ابن رجب رحمه الله. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين أسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والسامعين. قال الامام العلامة زين الدين عبدالرحمن ابن احمد ابن رجب ابن الحسن السلمي البغدادي

ثم الدمشقي الحميلي في رسالته شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم. قوله صلى الله عليه وسلم وان الملائكة اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع. وخرج ابن ماجة من حديث زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال فقال ما جاء بك؟ قلت اطلب علم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة اجنحتها رضا بما اصنع وخرجه الترمذي وخرجه الترمذي وغيره موقوفا على صفوان وقد اختلفت يعني اي ان هذا شاهد ان هذه فضيلة عظيمة. من الفضائل التي ينالها طالب العلم

ان ملائكة الله سبحانه وتعالى تضع اجنحتها اه لطالب العلم رضا بما يصنع ايضا اي رضا بهذا الصنيع الذي هو طلب العلم. نعم. يرحمك الله. وقد اختلف الناس في تأويل وضع

ملائكة اجنحتها فمنهم من حملة على من حملة على ظاهره وان المراد فرشوا الاجنحة وبسطها لطالب العلم لتحملهم لتحملهم الى مقاصدهم من الارض التي يطلبون فيها العلم اعانة لهم على الطلب وتيسيره عليهم. وقد سمع وقد سمع هذا الحديث بعض ملحدين فقالوا لطلبة العلم ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة لا تكسروها يستهزؤون بذلك. فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط يستهزئ بذلك. نعم. يستهزئ بذلك فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط. يعني ما تحرك من موضعه حتى جفت رجلاه اي من حركة الدم فيها يبست فسقط من موضعه وهذه عقوبة معجلة وقد يسلم منها المرء لكنه يبوء بسخط الله لانه لا تهزأ بشيء من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يستهزئ الا ظال. منحرف العقيدة. لان رسول ان احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها حر. وكلها معظمة وكلها متلقاة بالتصديق والقبول. نعم وروي عن اخر قال لا كسرن اجنحة الملائكة فصنع له نعلًا طرقها بمسامير كثيرة فمشى بها الى مجلس العلم فجفت رجلاه ووقعت فيهما الاكلة. نعم. ومنهم من يعني انه حصلت له هذه العقوبة المعجلة للسخرية للسخرية التي وقعت منه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهم من فسر وضع الملائكة

اجنحتها بالتواضع لهم والخضوع والاطاعة لطلب العلم كما في قوله تعالى واخفض جناحك لمن لمن اتبعك من المؤمنين وفي هذا نظر لان للملائكة اجنحة حقيقة بخلاف البشر. ومنهم من فسر ذلك بان الملائكة تحف باجنحتها مجالس الذكر الى كما جاء ذلك صريحا في حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وورد مثله في بعض الفاظ في بعض الفاظ حديث صفوان ابن عسال مرفوعا ان طالب العلم لتحفه الملائكة وتضله باجنحتها ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا الى السماء الدنيا من حبهما لما يطلب لما يطلب؟ لما؟ مشكل يطلب. يطلب. يطلب. من حبهما لما يطلب. ولعل هذا القول اشبه والله اعلم. الحديث اه على ظاهره كما قال عليه الصلاة والسلام ان الملائكة تضع

اجنحتها لطالب العلم. وهو امر غيبي. لا يخاض فيه بكيفية لكنه حق وكما اخبر النبي عليه الصلاة والسلام. ووضع الملائكة اجنحتها هو وضع حقيقي توضع اه اجنحتها تواضعا له وتوقيرا واکراما لما يحمله من ميراث عظيم ولما هو مشتغل به من طلب للعلم الذي هو سبيل رفعة لصاحبه في دنياه واخراه. فالملائكة توضع اه اجنحتها حقيقة تواضعا له وتوقيرا واکراما له. من اجل هذا العلم الذي هو سالك في سبيله. نعم. قوله صلى الله عليه وسلم وان العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الارض حتى الحيتان في

جوف الماء قد اخبر الله في كتابه باستغفار ملائكة السماء للمؤمنين عموما بقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن قوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا. وقوله تعالى والملائكة يسبحون

لربهم ويستغفرون لمن في الارض. فهذا للمؤمنين عموماً. فاما العلماء فيستغفرون لهم اهل السماء واهل الارض حتى الحيتان في البحر وخرج الترمذي من حديث ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته واهل السماوات والارضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير وصححه الترمذي. وخرج الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر. ويروى من حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء يحبهم اهل السماء وتستغفر لهم حيتان وتستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا الى يوم القيامة. نعم يعني ان هذه كلها شواهد تشهد لما جاء في حديث ابي الدرداء من فضيلة عظيمة لطالب العلم ان العالم ليستغفر له من في السماوات والارض حتى الحيتان في الماء حتى الحيتان في الماء يعني كلها تستغفر له تسأل الله عز وجل ان يغفر له. وهذه لا شك فضيلة عظيمة جدا الحيتان التي في الماء كم عددها؟ نعم كم عدد الحيتان؟ تستغفر لطالب العلم. انظر هذه الفضيلة وعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وانظر هذه المخلوقات الكثيرة حتى السماوات والارض. كلها تستغفر طالب العلم تدعو الله سبحانه وتعالى ان يغفر له. وهذا يدل على ان طريق العلم طريق مبارك. يعني سبحانه الله هذا الطالب يدخل في العلم يطلب العلم ثم الكون كله يتحرك من حوله دعاء له. نعم كله السماوات والارض الحيتان تستغفر له تدعو الله سبحانه وتعالى ان يغفر له. فهذه يدل على ان هذا الطريق الذي سلكه طالب العلم طريق مباركة يحفظها الخير وتتوالى فيها البركات وترتفع بها الدرجات ويتحقق بها الغفران للذنوب والخطيئات فهذا كله مما يعلي اه الهمة يستنهض العزيمة للحرص على العلم والعناية به. نعم. وورد الاستغفار ايضا لطالب العلم في مسند احمد عن قبيصة ابن المخالق قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء ما جاء بك؟ قلت كبر سني ورق عظمي اتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به. قال يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر الا استغفر لك. وقد دل قوله تعالى يا ايها في طريقك هذا جئت تطلب العلم ما مرت بحجر ولا شجر ولا مدر الا استغفر لك الا استغفر لك. الحاصل ان طالب العلم تستغفر له السماوات والارض حتى الحيتان في اه اه وهذا دعاء من هذه المخلوقات كلها لطالب العلم ان يغفر له. وهذا يدل على ان طلب العلم من اعظم ابواب المغفرة والفوز برضوان الله سبحانه وتعالى نعم. وقد دل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور على ان على ان الله وملائكته يصلون على اهل الذكر والعلم من افضل انواع الذكر كما سبق تقريره. وخرج الحاكم من حديث سليم بن عامر قال جاء رجل الى ابي امامة فقال يا ابا امامة اني رأيت في منامي كأن الملائكة تصلي عليكم كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست فقال ابو امامة اللهم غفرا دعونا دعونا عنكم وانتم لو شئتم لصلت عليكم الملائكة ثم قرأ يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور. نعم يعني لا تبخل على نفسك. اعطني بالعلم واكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى فتعال فتعال ذلك كما دلت على ذلك هذه الاية الكريمة نعم. وقد ذكر بعضهم السر في استغفار دواب الارض للعلماء وهو هنا حقيقة يعني يأتي سؤال يعني وطالب العلم يسمع هذه الفضيلة حتى الحيتان في ما تستغفر ما السر في هذا؟ قد يرد هذا آ السؤال في الذهن ما السر في ان الحيتان في البحر تستغفر لطالب العلم فبعض العلماء اخذوا يتلمسون يعني بعض الحكم في في هذا الباب. نعم. وقد ذكر بعضهم السر في استغفار الارض للعلماء وهو ان العلماء يأمرن الناس بالاحسان الى المخلوقات كلها وباحسان قتل ما يجوز قتله او ذبحه من الحيوانات فيتعدى نفعهم الى الحيوانات كلها فلذلك يستغفرون لهم. يعني هذا هذا وجه. لان العالم يعلم الناس الخير يعلمهم الاحسان يعلمهم الفرق بالحيوان يعلمهم حتى اذا اراد ان ان يذبح ما يجوز ذبحه منها كيف يرفق به من العلم الاحسان الى بهيمة الاحسان الى بهيمة الانعام كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله كتب الاحسان على كل شيء فاذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته. آ صحابي كما في الادب المفرد سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله الشاة اذبحها وارحمها. قال والشاة اذا رحمتها رحمتك الله. فالاحسان ان الاسلام يعلم الرفق والرحمة واللطف التعامل آ الطيب مع بهيمة الانعام. الاسلام يحذر من اذى هذه الدواب. جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة في النار تعذب في هرة حبستها لا هي اطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض اهل البغي غفر لها بكل اشده به العطش فسقته فالاسلام يعلم الرفق بالحيوان يعلم ويعلم الاحسان فبعض العلماء يقول هذا من الاسرار التي لاجله حتى الحيتان تستغفر طالب العلم ومن يسلك هذا الطريق الذي يحصل به هذا الخير العظيم. وبعضهم ذكر وجه اخر قال ويظهر فيه اخر وهو ان سائر المخلوقات مطيعة لله قانته له مسبحة له غير عصاة الثقيلين. الجن والانس. فكل الخلق مطيعون لله يحبون اهل طاعته. فكيف به وهو يعرف الله ويعرف حقوقه وطاعته. فمن كانت هذه صفته فان الله يحبه يزيه ويثني

عليه ويأمر عباده من اهل السماء والارض وسائر خلقه بمحبته والدعاء له. وذلك هو صلاتهم عليه ويجعل له ردة في قلوب عباده المؤمنين. كما قال تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا. ولا تختص محبته بالحيوانات بل تحبه الجمادات ايضا كما جاء في تفسير قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض ان والارض تبكي على المؤمن اذا مات اربعين صباحا. وفي الحديث ان الارض تقوم للمؤمن اذا دفن ان كنت لاحب ان كنت احب من يمشي على ظهري فسترى اذا صرت الى بطني صنيعة. وانما يبغض المؤمن والعالم عصاة الثقيلين لان معصيتهم لله اقتضت تقديم اهواء نفوسهم على محبة الله وطاعته. فكروها طاعة الله واهل طاعته ومن احب الله واحب طاعته احب اهل على طاعته وخصوصا من دعا الى طاعته وامر الناس بها. وايضا فان العلم اذا ظهر في الارض وعمل به درة البركات درت البركات ونزلت الارزاق فيعيش اهل الارض كلهم حتى النملة وغيرها من الحيوانات ببركته ويستبشر واهل السماء بما يرتفع لاهل الارض من الطاعات والاعمال الصالحات فيستغفرون لمن كان السبب في ذلك. نعم يعني ان العالم له اثر في صلاح الارض صلاح المجتمعات مثل ما ان المفسدين لهم اثر في فساد الارض ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها الارض انما تصلح بالعلم. ونور العلم وضيائه. وتفسد بالدعوة الى المنكر والى الفساد والى المحرمات وهذا يؤثر فيها صلاحا وهذا يؤثر فيها فسادا فبعضهم يقول ان هذا ايضا من الحكم التي لاجله تستغفر لها السماوات والارض حتى الحيتان في الماء. نعم. وعكس هذا ان من كتم العلم الذي امر الله باظهاره لعنه الله وملائكته واهل السماء والارض. حيث سعى في اطفاء نور الله في الارض الذي بسبب اخفائه تظهر المعاصي والظلم والعداوة والبغي. قال الله تعالى ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. وقد قيل انها نزلت في اهل الكتاب الذين كتّموا ما عندهم في كتابهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم. وكان ابو هريرة يقول لولا اية من كتاب الله ما حدثتكم شيئا ابدا ويتلو هذه الاية وفي سنن ابن ماجة عن البراء ابن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. قال دواب وقد روي هذا موقوفا عن البراء على البراء. وروي عن طائفة من السلف قالوا تلعنهم دواب الارض ويقولون منعنا القطر خطايا بني ادم فان كتمان العلم النافع سبب لظهور الجهل والمعاصي وذلك يوجب محو المطر ونزول البلاء فيعم دواب الارض فتهلك فتهلك بخطايا بني ادم فتلعن الدواب من كان سببا لذلك. نعم وفي القرآن قال الله عز وجل ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس. والعالم ما ما صنعوا في هذا الباب. الله اكبر اصلاح هذا الفساد فاذا آ صار للعالم الدور العظيم في الاصلاح صار الاثر يصل الى الارض والى الى هذه المخلوقات والنفع يعم هذه الكائنات فليل ان هذا من اسباب انها تستغفر لها السماوات والارض حتى الحيتان في الماء نعم وقد ظهر بهذا ان محبة العلماء من الدين كما قال علي ان محبة العلماء العاملين من الدين وقد ظهر بهذا ان محبة العلماء العاملين من الدين كما قال علي رضي الله عنه لكميل بن زياد ومحبة دين يدان بها. نعم يعني قرينة يتقرب الى الله سبحانه وتعالى بها. مما يتقرب الى الله سبحانه وتعالى به محبة اهل العلم العاملين الذين يعلمون الخير ويدعون الى الهدى وينصحون الخلق يرشدونهم الى عبادة الله ويحذرون من معصيته فمن القرب التي يتقرب الى الله سبحانه وتعالى بها محبة هؤلاء نعم. قال وفي الاثر كن عالما او متعلما او مستمعا او محبا لهم ولا تكن الخامسة فتهلك. قال بعض السلف عند هذا سبحان الله لقد جعل الله لهم مخرجا. يعني انه لا يخرج عنها لا يخرج عن هذه الاربعة الممدوحة الا الخامس الهالك. وهو من ليس ولا متعلم ولا مجتمع ولا محب لاهل العلم وهو الهالك فان من ابغض اهل العلم احب هلاكهم ومن احب هلاكهم فقد احب ان يطفأ نور الله في الارض ويظهر فيها المعاصي والفساد فيخشى ان لا يرفع له مع ذلك عمل كما قال سفيان ثوري وغيره من السلف وقد كان بعض خدم الخلفاء يبغض ابا الفرج ابن الجوزي ويسعى في اذاه بجهد فراه بعضهم في وهو يذهب به الى النار فسئل عن سبب ذلك فقيل له كان يبغض ابن الجوزي. قال ابن الجوزي لما زاد تعصبه لجأت الى الله في كشف ستره سقط في كشف ستره فقسمه الله تعالى قريبا. نعم يعني الحاصل ان يعني ان محبة العلم ومحبة اهله هذا ايضا باب من الخير. لان المرء اما ان يكون عالم او يكون متعلم او يستمع للعلم. يعني بعض الناس يعني يحب مجالس العلم. ويستمتع وآ يجد من نفسه انه لا يحصل لكنه يرجو خيرا بجلوسه وسماعه ولهذا بعض بعض العوام الاخيار الافاضل ما قوة مجالس العلم ويحرص عليها ويجلس فيها من سنوات طوال وان كان لا يجد نفسه يحصن مثل ما يحصن طلاب العلم الذي الذين يقيدون ويكتبون ويحفظون الى اخره لكنه يرجو خيرا وبركة ولا شك ان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليس. وايضا من يحبهم. ويحب الخير الذي هم فيه وآ يعني في قلبه محبة لهم فهذا ايضا على خير لكن المصيبة في الشخص الذي يبغض آ والعياذ بالله العلم ويبغض طلبة العلم ويبغض مجالس العلم وفي قلبه كراهية لهم هذا هالك والعياذ بالله. ويترتب على البغض للعلم. هذه المعاني التي ذكر الشيخ وهي مهمة رحمه الله قال فان

من ابغض اهل العلم احب هلاكهم ومن احب هلاكهم فقد احب ان يطفى نور الله في الارض ويظهر فيها المعاصي والفساد. فمثل هذا يخشى ان لا يرفع له عمل مع حاله هذه السيئة والعياذ بالله. نعم ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير كان الناس كلهم محتاجين الى علمه فمنعهم الانتفاع بعلمه فروي في المنام ان قتل بكل قتيل قتله في الدنيا قتلة وقتل بسعيد بن بسعيد بن جبير سبعين قتلة. ولهذا المعنى كان اشد الناس عذابا من قتل نبيا لانه سعى في الارض بالفساد. ومن قتل عالما فقد قتل خليفة نبي فهو ساع في الارض بالفساد ايضا. ولهذا اذا قارن الله بين قتل الانبياء وقتل العلماء الامرين بالمعروف في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم. وقال عكرمة وغيره من السلف قوله تعالى من قتل نفسا بغير نفس او فساد في فكأنما قتل الناس جميعا ومن احيها فكأنما احيا الناس جميعا. من قتل نبيا او امام عدل قال انما قتل الناس جميعا ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكأنما احيا الناس جميعا. قوله صلى الله الان اه قتل العالم من من المعلوم ان قتل النفس المسلمة المعصومة من اعظم الكبائر. والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق. ولا يزنون. هذه من اعظم الكبائر بل ان اعظم جريمتين عصي الله سبحانه وتعالى بهما بعد الشرك قتل النفس وقتل الغير بغير حق. فكيف اذا كان الذي قتل رجل يحمل العلم وينشر الخير في الامة. كيف اذا كان الذي قتل رجل ينشر العلم لا الناس يتفقهون عليه ويتعلمون يستفيدون من علمه ثم يتجرأ متجرم من اهل الضلال ويقتله قتله للعالم هو سعي في اطفال اهل العلم لان هذا العالم يحمل العلم وينشره في الامة ويعلم الناس فقتله اطفاء لنور العلم. اطفاء لنور العلم. فيكون الائم مضاعفا. القتل نفسه المعصومة هذا من اكبر الذنوب بعد جريمة الشرك فكيف اذا كان الذي اه قصد او قتل عالم يضيء للناس الخير ويعلمهم طريق الخير. نعم. قوله صلى الله عليه وسلم وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا من حديث معاذ وابي الدرداء ولكن اسنادهما قطيع وفي هذا المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر وهو نهاية كماله وتمام نوره وتشبيه للعابد وان بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل ما بين القمر ليلة البدر والكواكب كما بين كما بين القمر ليلة البدر والكواكب والسفر في ذلك والله اعلم ان الكوكب ظوؤه لا يعلو نفسه واما القمر ليلة البدر فان نوره يشرق على اهل الارض جميعا فيعلمهم نوره فيستضيئون بنوره ويهتدون به في مسيرهم. وانما قال على سائر الكواكب ولم يقل على سائر النجوم لان الكواكب هي التي لا لا تسير ولا يهتدى بها فهي بمنزلة العابد الذي نفعه مقصور على نفسه واما النجوم فهي التي يهتدى بها كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون ولهذا مر معنا في كلام كلام ابن رجب رحمه الله المتقدم تشبيه للعالم بالنجم الذي يهتدى به. نعم وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتتهدوا بها في ظلمات البر والبحر. فكذلك مثل العلماء من امته بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره وكذلك روي عنه انه قال اصحابي كالنجوم فبايهم اقتديتم اهتديتم؟ وقد قيل ان القمر انما يستفيد نوره من ضوء الشمس كما ان العالم نوره مقتبس من نور الرسالة. فلذلك شبه بالقمر ولم يشبه بالشمس. ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم سراجا منيرا يشرق نوره على الارض كان العلماء ورثته وخلفاءه مشبهين بالقمر عند تمام نوره وبصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر لاهل الارض ثم الذين يلونهم على اضواء كوكب دري في السماء. ولا يبعد والله اعلم ان العلماء الربانيين من الزمرة الاولى كما كانوا في الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر لاهل الارض وقد يشاركونهم في ذلك المبرزون. من العباد ولا سيما من انتفع الناس اخبارهم ورقة القلوب عند ذكرهم وحثت الى اقتفاء اثارهم. واما الزمرة الثانية فهم عموم العباد. ولما مات الازاعي وكان امام اهل الشام في العلم مع شدة عبادته وكثرة خشيته وخوفه من الله تعالى رؤي في المنام فقال ما رأيت هناك من درجة العلم ثم درجة المحزونين يعني اهل الخوف من الله والخشية والحزن. وقد دل هذا الحديث على العلم على العبادة تفضيلا بينا والادلة الدالة على ذلك كثيرة. قال تعالى هل هل قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال يرفع الله الذين امنوا والذين الذين امنوا منكم والذين اتوا العلم درجات على الذين امنوا ولم يؤتوا العلم كذا قال ابن مسعود وغيره من السلف وخرج الترمذي من من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر له رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد على ادناكم وقال صحيح حسن غريب. وخرج ايضا هو وابن ماجه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد. وخرج ابن ماجه من حديث عبد الله ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد فاذا هو بحلقتين احدهما يقرأون القرآن ويدعون الله عز وجل والاخرى يتعلمون ويعلمون فقال النبي صلى الله

الصيام

ومدارسة ومدارسته تعدل القيام به توصل الارحام ويعرف الحلال من الحرام وهو امام العمل والعمل تابعه يلهمه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء. رواه ابن عبد البر. به يعرف الله به يعرف الله ويعبد وبه يمجّد ويوحّد يرفع الله بالعلم اقواما فيجعلهم قادة وأئمة للناس يقتدون بهم ويرجعون الى رأيهم

في كلام اكثر من هذا وقد روي هذا مرفوعا من حديث ابي هريرة. ومما يدل على تفضيل العلم على العبادة. هذا الذي يروى عن معاذ بن جبل فيه فضائل كثيرة اه العلم و طلب العلم وفيه حث على العلم فتأمله نافع جدا لطالب العلم يقف على هذه الفضائل التي عددها معاذ آ رضي الله عنه وارضاه ابن عبد البر اورد هذا الاثر وقال هو حديث حسن جدا ولكن ليس اسناده القوي واراد حسن اي معناه حسن جميل. نعم. ومما يدل على هذا الاثر معروف عن معاذ رضي الله عنه الحاصل انه آ آ يعني فيه معاني عظيمة جدا في فضل العلم وطلب العلم فجدير بطالب العلم ان يتأمل في هذه المعاني والفضائل نعم ومما يدل على تفضيل العلم على العبادة قصة ادم عليه السلام فان الله تعالى انما اظهر فضله على الملائكة بالعلم حيث علمه اسماء كل شيء واعترفت الملائكة بالعجز عن معرفة ذلك. فلما انباهم ادم بالاسماء ظهر حينئذ حينئذ فضله عليهم. وقال عز وجل الم اقل لكم الم اقل لكم اني اعلم غيب السماوات والارض واعلم ما تبون وما كنتم تكتمون. وذكر طائفة من السلف ان الذي كتموه انهم قالوا في انفسهم لن يخلق الله خلقا الا نحن اكرم عليه منه. ومما يدل على فضل العلم ان جبريل عليه السلام انما فضل على الملائكة المشغولين بالعبادة بالعلم الذي خص به فانه صاحب الوحي الذي ينزل به على الانبياء عليهم السلام وكذلك خواص الرسل انما فضلوا على غيرهم من الانبياء عليهم السلام بمزيد العلم المقضي لزيادة المعرفة بالله والخشية ولهذا وصف الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابه ومدحه بالعلم الذي اختصه به وامتن به عليه بمواضع كثيرة وامره ان يعلمه لامته. فاول ماذا فاول ماذا فاول ما ذكره بالعلم. وبتعليمه في قصة ابراهيم حين دعا ربه فوق حين دعا ربه لاهل البيت الحرام فيه خطر في قصة ابراهيم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام ان يبعث فيهم رسولا منهم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام ان يبعث فيهم رسولا منهم وبعث فينا ثم امتن علينا بان بعث فينا رسولا منا وهو محمد صلى الله عليه وسلم. بهذه الصفة. فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم. ويعلمهم الكتاب والحكمة ثم امتن علينا بان بعث فينا رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين. واول انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ذكر العلم وفضله وهو قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم. وامتن على محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم في مواضع لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم. وكان فضل الله عليك عظيما. وامره وان يسأل ربه ان يزيد علمه فقال وقل ربي زدني علما. وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اعلمكم بالله واشدكم له خشية وامتن الله تعالى علينا ان بعث فينا هذا الرسول صلى الله عليه وسلم. الذي يعلمنا ما لم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة كما قال قال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون. ما يتعلق بابراهيم فاول فاول ما ما ذكره بالعلم فاول ما ذكره بالعلم وبتعليم فاول ما ذكره بالعلم وبتعليمه نعم في قصة ابراهيم حين دعا ربه لاهل البيت الحرام. هم. ان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. ثم كل المكان الاول. وامره الله اكبر سبحانه. واخبر سبحانه انه انما خلق السماوات والارض ونزل الامر الا لتعلم بذلك لتعلم. نعم. انما خلق لتعلم. انما خلق السماوات والارض ونزل الامر لتعلم بكل ذلك قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفته ومعرفة صفاته كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سماوات الى وان الله قد احاط بكل شيء علما. نعم الله الذي خلق السبع سموات ومن الارض مثلن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما فهذا فيه ان خلق ان خلق السماوات والارض ونزل وبينها لتعلم نعم. ومدح الله في كتابه العلماء في مواضع كثيرة وقد سبق ذكر بعضها واخبر انه انما يخشاه من عباده العلماء وهم العلماء به. قال ابن عباس في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء. قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي. وهذا يدل على فضل تعلم باب الاسماء والصفات والفقّه في هذا الباب العظيم انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي يعني عرف الله باسمائه وصفاته في ضوء سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. نعم. فافضل العلم بالعلم بالعلم وهو العلم باسمائه وصفاته وافعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه والرضا والاشتغال به دون خلقه. ويتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفصيل ذلك. والعلم باوامر الله

ونواهيه وشرائعه واحكامه وما يحبه من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة وما يكرهه من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة. ومن جمع هذه العلوم فهو من العلماء الربانيين. العلماء بالله العلماء بامر الله وهم اكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون العلم بامر الله وبالعكس. وشاهدوا هذا النظر في حال الحسن وابن واين المشيب والثوري واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وحال مالك بن دينار والفضيل بن عياض ومعروف وبشر وغيرهم من العارفين فمن قارز بين الحالين عرف فضل العلماء بالله وبامر الله على العلماء فقط. فما الظن بتفضيل العلماء بالله وبامر الله على العلماء فقط فان هذا واضح لا خفاء به وانما يظن بعض من لا علم له بتفضيل العباد على العلماء لانهم تخيلوا ان العلماء هم العلماء بامر الله فقط وان العباد هم العلماء بالله وحده فرجحوا العالم بالله على العالم بامر الله وهذا حق لكن افضل منهما العالم بالله العالم بامر الله. نعم. ونحن انما نقول ان ابي الله ان يرحمك الله. ان العلماء بالله والعلماء بامر الله افضل من العباد ولو كان العباد من العلماء بالله. لان العلماء شاركوا العباد في فضيلة العلم بالله بل ربما زادوا عليهم فيه وانفردوا بفضيلة العلم بامر الله وبفضيلة دعوة الخلق الى الله وهدايتهم اليه وهو مقام الرسل عليهم السلام. وكذلك كانوا خلفاء الرسل وورثتهم كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى. يعني في الحديث فان العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم. وهذا القدر الذي انفردوا به عن العباد افضل من القدر الذي انفرد به العباد من نوافل العبادة فان زيادة المعرفة بما انزل الله على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والايمان به وجنس المعرفة بالله والايمان به افضل من جنس العمل بالجوارح والاركان. ولكن من لا علم له تعظم في نفسه العبادات على العلم. لانه لا يتصور

حقيقة العلم ولا شرفه ولا قدرته ولا قدرة له على ذلك. وهو يتصور حقيقة العبادات وله قدرة على جنسها في الجملة. ولهذا كثيرا ممن لا علم لديه يفضل الزهد في الدنيا على العلوم والمعارف وسببه ما ذكرناه وهو انه لا يتصور معنى العلم والمعرفة من لا يتصور شيئا لا يقر في صدري لا لا يقر في صدره عظمته وانما يتصور الجاهل بالعلم حقيقة الدنيا وقد عظمت في صدره فعظم عنده من تركها. كما قال محمد بن واسع وقد رأى شابا فقيل له هؤلاء زهاد؟ فقال واي شيء قد رد الدنيا حتى يمدح من زهد فيها. وقال ابو سليمان الداراني قريبا من هذا المعنى ايضا. فالمفتخر بالزهد في الدنيا كانه يفتخر بترك نزر يسير من شيء هو اقل عند الله من جناح بعوضة. وهذا احق احقر من ان يذكر فضلا عن ان يفتخر به ولهذا ايضا يعظم في نفوس كثير من الناس ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل مما اعطيه العلماء من المعرفة والعلم وانما تصورون حقيقة الخوارق لانها من ينسي القدرة والسلطان في الدنيا الذي يعجز اكثر الناس عنه. واما العلماء بالله فلا تعظموا وهذه الخوارق عندهم افضل الكرامة لزوم الاستقامة. افضل الكرامة لزوم الاستقامة ان يلزم المرء طاعة الله وعبادة الله ويشغل نفسه بالعلم والفقه في دين الله. فهذه افضل كرامة واعلى شأن في الى الكرامات نعم. واما العلماء بالله فلا تعظم هذه الخوارق عندهم. بل يرون الزهد فيها وانها من نوع الفتنة والمحنة وبسط الدنيا على العبد فيخافون من الاشتغال بها والوقوف معها والانقطاع عن الله عز وجل

وقد ذكر ابو طالب المكي هذا المعنى في كتابه عن كثير من العارفين منهم ابو يزيد ويحيى ابن معاذ وسهل التستري وذو النون والجنيد وغيره وقيل لبعضهم ان فلانا يمشي على الماء فقال من امكنه الله من مخالفة هواه فهو افضل. من مكنه الله من مخالفة هواه فهو الافضل. العبرة بالاستقامة ومجانبة الهوى ولزوم الحق والهدى. هذا هذه الكرامة نعم. وكان ابو حفص النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه خارج المدينة. وهو يتكلم عليهم فطابت انفسهم فجاء ايل قد نزل من الجبل حتى برك بين يديه فبكى بكاء شديدا وانزعج فسأل عن سبب بكائه

ذكر من الوعال الوعل يعني نعم. نعم. فسئل عن سبب بكائه فقال رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوق قلبي لو ان لي شاة ذبحتها ودعوتكم فما تحكم هذا خاطر حتى جاء هذا الوحش فبارك بين يديه فخييل لي اني مثل فرعون الذي سأل ربه ان يجري له النيل فاجراه له قلت فما يأمني ان يكون الله يعطيني كل حظ في الدنيا ابقى في الآخرة فقيرا لا شيء لي. فهذا الذي ازعجني. فاحوال العارفين كلها تدل على انهم لم يكونوا يلتفتون الى هذه الخوارق وانما كان اهتمامهم بمعرفة الله وخشيته ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وطاعته. والعلماء يشاركون في ذلك ويزيدون عليهم بالعلم بامر الله وبدعوة الخلق الى الله. العلماء الربانيون يشاركونهم في ذلك يعني يشاركون العباد في هذا الجانب. نعم. وهذا هو الفضل العظيم عند الله وملائكته ورسله

كما قال بعض السلف من عمل وعلم وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء. واذا ظهر فضل العالم على العابد فانما المراد تفضيله على العابد بعلم فاما العابد بغير علم فانه مذموم. هذا ايضا جانب مهم جدا. ينبه عليه الامام ابن الجوزي رحمه الله عندما يقال ان العالم افضل من العابد المراد بالعابد الذي يعبد بعلم عبادات صحيحة شرعية اما العابد الذي يعبد ببدع واهواء فهذا لا يدخل في هذا الباب. فضل العالم على العابد. لان العبادات التي هي قائمة على بدع ليست مقبولة من ذلك العابد بل هي مردودة عليه كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل عملا ليس عليه امرنا هو

رد ولهذا شبهه السلف بالسائل على غير طريق وبانه يفسد

يؤثر مما يصلح يروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال من عبد الله بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح العبث الله بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح. ولهذا هنا قال اه اه ابن الجوزي وانه يفسد اكثر مما يصلح. لان البدع ليست هي طريق الى الله وليس الدين يتقرب به الى الله بل هي اهواء مردودة على اصحابها غير مقبولة منهم نعم. وبانه كالحمار في الطاحون يدور حتى يهلك من التعب ولا يبرح من مكانه. ولهذا ظهورا ووضوحا من ان يحتاج الى بسط القول فيه. ولنضربها هنا مثلا جامعا لاحوال الخلق كلهم بالنسبة الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقسامهم في اجابة دعوته الى سابق ومقتصد وظالم لنفسه. وبه يظهر فضل العلماء الربانيين على غيرهم من الناس اجمعين فنقول

مثل ذلك كمثل رسول قدم من بلد من بلد الملك الاعظم فادى رسالة الملك الى سائر البلدان وظهر لهم صدقه في رسالتي فكان مضمون رسالتي التي اداها عند الملك الاعظم الى رعيته اداها من الملك الى رعيته. التي اداها من الملك الاعظم الى رعيته ان هذا الملك لا احسان ان هذا الملك لا احسان اتم من احسانه اتم من احسانه ولا عدل اكمل من عدله ولا بطشه اشد من بطشه وانه لابد ان يستدعي الرعية كلهم اليه ليقيموا عنده فمن قدم عليه باحسان جازاه باحسانه افضل الجزاء. ومن قدم عليه باسائة جازاه باسائة اشد الجزاء. وانه يحب كذا وكذا ويكره كذا وكذا ولم يدع شيئا مما تعمله الرعية الا اخبرهم بما يحبه الملك منه وبما يكرهه ما يكره وامرهم بالتجهز والسير الى دار الملك التي فيها الاقامة واخبرهم بخراب جميع البلدان سوى ذلك البلد وان من لم يتجهز للسير بعث بعث الى الملك من يزعجه عن وطنه وينقله منه على اسوأ حال وجعل يصف صفاتي هذا الملك الحسنى من الجمال والكمال والجلال والافظال فانقسم الناس في اجابة هذا الرسول الداعي الى الملك اقساما عديدة فمنهم من ولم يكن له هم الا السؤال عما يحب هذا الملك من الرعية واستصحابه الى داره عند السير اليه فان قال بتخليصه لنفسه وبدعاء من يمكنه الا السؤال عما يحب هذا الملك من الرعية استصحابه الى دارهم عند نعم عما يحب هذا الملك من الرعية الى داره عند السير اليه فانشغل بتخليصه لنفسه وبدعاء من يمكنه دعاؤه من الخلق الى ذلك وعما يكرهه الملك فاجتنبه وامر الناس باجتنابه وجعل همه الاعظم. السؤال عن صفات الملك وعظمته وافضاله فزاد محبته لهذا الملك واجلاله والشوق الى لقائه فارتحل الى الملك مستصحباً لانفس ما قدر عليه مما يحبه الملك ويرتضيه واستصحب معه ركبا عظيما على مثل حاله. سار بهم الى دار الملك. وقد عرف من من جهة ذلك الدليل وهو الرسول الصادق اقرب الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك. وما ينفع من التزود للمسير فيها وعمل بمقتضى ذلك في السير هو ومن اتبعه فهذه صفة العلماء الربانيين الذين اهتدوا وهدوا والخلق معهم الى طريق الله وهؤلاء يقدمون على الملك قدوم الغائب على اهله المنتظرين لقدمه المشتاقين اليه اشد الشوق. وقسم اخر اشتغل بالتأهب لمسيرهم بانفسهم الى الملك ولم يتفرغوا لاستصحاب غيرهم معهم. وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم في خاصة انفسهم واشتغلوا بالعمل بمقتضاه وقسم اخر تشبهوا باحد القسمين واطهروا للناس انهم منهم وان قصدهم التزود وانما كان قصدهم استيطان دارهم الفانية وهم العلماء والعباد المرءون باعمالهم ينالوا مصالح دارهم التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه شر حال ويقال لهم اطلبوا جزاء اعمالكم مما عملتم لهم فليس لكم عندنا من خلاف وهم اول من تسعر بهم النار من اهل التوحيد. وقسم اخر فهموا ارادة الرسول صلى الله عليه وسلم ارادة الرسول من رسالة الملك لكنه انغلب عليهم الكسل والتقاعد عن التسول عن التزود بالسفر استصحاب ما يحب الملك واجتناب ما يكرهه وهؤلاء العلماء الذين لا يعملون بعلمهم وهم على شفا هلكة وربما انتفع غيرهم بمعرفتهم ووصفهم لطريق السير فسار المتعلمون فنجاوا وانقطع بمن تعلموا منهم الطريق فهلكوا وقسم اخر صدقوا الرسول فيما دعا اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا منه طريق السير ولا معرفة تفاصيل ما يحبه الملك وما يكرهه فساروا بانفسهم ورموا نفوسهم بطرق شاقة ومخاوف وقفار وعرة فهلك اكثرهم وانقطعوا في الطريق ولم يصلوا الى دار الملك وهؤلاء الذين يعملون بغير علم. وقسم لم يهتموا بهذه الرسالة ولا رفعوا بها رأسا. واشتغلوا بمصالح اقامتهم في لاوطانهم التي اخبر الرسول بخرابها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية ومنهم من صدقه بالقول ولكنه لم يشغل بمعرفة ما عليه ولا بالعمل به وهؤلاء عموم الخلق المعرضون عن العلم والعمل. ومنهم الكفار والمنافقون ومنهم العصاة ظالمون لانفسهم فلم يشعروا الا وقد طرقتهم داعي الملك فاخرجهم عن اوطانهم واستدعاهم الى الملك فقدموا عليه قدوم على سيده الغضبان فاذا تأملت اقسام الناس المذكورة لن تجد اشرف ولا اقرب عند الملك من العلماء ربانيين فهم افضل الخلق بعد المرسلين. قوله صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اه نقف الى هذا الحد ونكمل باذن الله بعد صلاة العشاء